الحجة في ضوء علم التنظيم وطرق العمل

للعقيد: حسن فتح الباب

يعد التنظيم في مقدمة الفروع التي ينتظمها علم الإدارة العامة، ذلك العلم الذي تزايد الاهتمام به في الدولة الحديثة وتشعبت دراساته وتعددت فروعه بحيث أصبح كل فرع منها يكاد يؤلف علما قائما بذاته، ونظرا لأهمية التنظيم فإن بعض العلماء والباحثين يستخدمون كلمتي: التنظيم والإدارة كلفظين مترادفين.

ويعرف التنظيم بأنه تجميع جهود الأفراد الممثلين للقوى البشرية العاملة وفقا لصلاحياتهم وقدراتهم ومواهبهم وتخصصاتهم المختلفة ثم تنسيق هذه الجهود داخل الهيئة التي تجمعهم لتسهيل مهمة القائد أو الرئيس وتمكينه من رفع الكفاية الإنتاجية لهؤلاء الأفراد وتحقيق الهدف المشترك.

وثمة تعريف آخر للتنظيم وهو أنه: ترتيب العلاقات المتبادلة بين الجماعات والأفراد الذين يتعاونون معا على مستويات مختلفة في هيئة معينة، لتحقيق غرض عام، وتربطهم سلسلة من الروابط الوظيفية المختلفة، والهدف من وراء ذلك هو ضمان أكمل استخدام للموارد البشرية والمادية المتاحة، وكذلك الحد - ما أمكن - من أسباب استنفاد الجهود وضياعها سدى.

ولا شك أن للتنظيم أثره الفعال في أداء العمل وتنفيذه، وتحديد اختصاصاته وكذلك تحديد المسئولية عن هذه الاختصاصات بصورة واضحة تمكن من الاشراف على التنفيذ ومتابعة نتائجه، وتقدير مدى كفاية وسائل أدائه، الأمر الذي ييسر على الهيئة القيادية أن تباشر أعمالها في التخطيط والإشراف والتوجيه وتدارك الملاحظات وعلاج المصاعب وحل المشكلات التي تعترض تنفيذ خطة العمل، سعيا وراء بلوغ أقصى درجات النجاح.

والتنظيم إجراء لاحق لوضع الخطة، فمن المفهوم بداهة أن الوصول إلى الهدف المنشود يستلزم وضع خطة ثم وضع تنظيم مناسب لها بمعنى تقسيم الأعمال اللازمة لتحقيق هذه الخطة. فلا ضمان لنجاح خطة في التطبيق ما لم تقم على نظام سليم يوزع أدوار العمل بين المكلفين بأدائه ويوضح علاقات بعضهم ببعض ويرتب مسئولياتهم. ضمانا لعدم التضارب أو التنازع على السلطات أو الهروب

فى الجزيرة يدعون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفى قلوبهم وعلى ألسنتهم كتاب الله يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ولم يكد ينقضى على هجرة النور من مكة عشرة أعوام حتى عمر نور الحق أرجاء الجزيرة ودوت آيات الله فى حواضرها وبواديها وشعابها ووديانها ودروبها وفى قصور الأغنياء وبين مسارح الرعاة، وتبتل بها العباد فى المساجد، ورتلتها النساء فى الخدور واعتز بها جند الله واستعان بها الهداة وهم يشدون عرى الإخاء بين قلوب المسلمين على وحدة لا تنال منها نفثات الشياطين ولا أهواء الكائدين ثم انطلقت الدعوة من الجزيرة إلى العالم فاجتاحت الوثنيات التى عاشت عقائد الأجيال قرونا، ثم نشرت بين الأقطار الدين الخالص فى آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وهكذا غيرت هجرة النور من مكة إلى المدينة عقائد كثير من الشعوب، وجمعتها على عقيدة التوحيد أمة مسلمة لله رب العالمين، وستعيش مع الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها المسلمون:

اذكروا هجرة النور لعل إشراقا من فيضها يشع فى نفوسكم، ويهز أريحتها إلى البذل فى سبيل الإسلام ودعوة الإسلام، فلم يزل بين ظهرانينا العالم، ممن يجهلون حقيقة الإسلام، من يحتاجون إلى أقباس من إشراقاته لتهديهم إلى صراط الله.

ثم اذكروا هجرة النور لعلكم تلقون فيها ما يحملكم على الهجرة بأرواحكم من هذا العالم الذى ضاع بين أمواج ضلاله وانحلاله نور الإسلام فبات غريبا فى أهله وأوطانه.

وليتنا ننتفع بالذكرى حين نذكر، فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

د. محمد محمد خليفة

يقول الله تعالى:

«إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير».

(سورة الحج: الآية: ٣٨، ٣٩)

من المسئولية والقائها على عاتق الآخرين وما يؤدى إليه ذلك كله من تواكل وسلبية ومنازعات وانحرافات .

وقد استقر علماء الإدارة على أن من أهم مبادىء التنظيم وطرق العمل تحديد وتعريف السياسة التى يلتزم الجميع بتنفيذها وإعلانها لهم ، وتقسيم العمل وتخطيطه ووضع برامج تنفيذه ،وضرورة اقتران المسئولية بالسلطة المناسبة لها ،وعدم جواز تلقى الفرد الواحد أوامر من أكثر من رئيس، وتنظيم العلاقات بين العاملين وتوفير القيادات الرشيدة وتحقيق التنسيق بين جميع التنظيمات من الأفراد .

فإذا أردنا إنشاء مشروع من المشروعات فإن خطوات العمل التى ينبغى أن نتبعها لحسن تنظيم هذا المشروع وضمان نجاحه هى:

أولا : تحديد الهدف أو الأهداف التى يسعى المشروع إلى تحقيقها .

ثانيا : تحديد مكونات ذلك المشروع .

ثالثا : بيان خطوط السلطات وحدود المسئوليات فيه .

وتتم الخطوة الثانية على مراحل تبدأ بمرحلة اختيار الأفراد الذين يقومون بالأعمال المؤدية إلى بلوغ هذا الهدف وإسناد العمل المناسب إلى كل منهم بحسب قدراته وخبراته أو بعبارة أخرى: تقسيم العمل بينهم وفقا لتخصصاتهم ، وتحديد سلطاتهم وواجباتهم ، ثم توجيههم والإشراف عليهم لكفالة سيرهم فى الطريق الصحيح بأعلى قدر من الكفاية ، والتزامهم بالتوجيهات ، وتعاونهم فيما بينهم . ومن أهم واجبات رب العمل فى هذا الصدد توعية الأفراد بدور كل منهم منفردا ودورهم مجتمعين فى ضوء الرسالة المنوط بهم القيام بها ورفع معنوياتهم وإثارة حوافزهم ، وحسن معاملتهم ، ومكافأة المجدمنهم وإرشاد المخطىء إلى مواضع خطئه ليتقيها فيما بعد .

أما الخطوة التالية لتنظيم الدعامة الإنسانية أو القوة البشرية فهى إعداد وتنظيم القوة المالية والمادية ويعنى بها الأموال والموارد والآلات اللازمة للمشروع .

فإذا درسنا هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى وقائعها المتتابعة المتكاملة تبين لنا اتساق الخطوات التى اتبعها عليه السلام مع خطوات العمل بحسب مفهوم علم التنظيم وطرق العمل الحديث . وأول ما يسترعى النظر فى هذا العمل الدينى التاريخى الخالد الذى يمثل مرحلة انتقال كبرى فى الإسلام وحدثا من أجل الأحداث فى تاريخ الديانات والحضارات أن رسول الله لم يقم به منفردا ، إذ شاءت إرادة الله عز وجل أن يقوم به متعاونا فى ذلك مع قلة قليلة من الرجال والنساء ، وكان سبحانه قادرا أن يجعله وقفا على رسوله صلوات الله

وسلامه عليه لايسانده إلا عون الله وتأييده ولعل الحكمة الإلهية فيما اختاره الله لصفيه من عمل جمعى لا فردى أن يكون فى ذلك أسوة حسنة للمؤمنين، فيتعلموا التعاون وهو أس من الأسس الجوهرية والركائز الأساسية فى المجتمع الإسلامى بصفة خاصة والمجتمع الإنسانى بصفة عامة ، كذلك فإن التعاون مقوم رئيسى من مقومات الإدارة الناجحة ومن ثم يركز عليه علماء التنظيم وطرق العمل بحسبانه روح التنظيم الكفء والضمان لإنجاز أهداف العمل الإدارى . كما تعلمنا تلك الحكمة الإلهية السامية درسا آخر بالغ الأهمية وهو أن الفرد وحده مهما بلغت قدراته فى حاجة إلى عون الآخرين ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وتقضى قواعد علم التنظيم الإدارى بتقسيم العمل بين القيادة والقاعدة من جانب وبين أفراد القاعدة بعضهم وبعض من جانب آخر فعلى القيادة التخطيط والتنظيم والإشراف والرعاية والرقابة ، وعلى القاعدة التنفيذ ذلك أن المشروع الكبير يجاوز طاقة القائد أو المدير لأن للطاقات البشرية حدودا سواء من حيث التمكن من أداء الأعمال المتنوعة أو من حيث الجهد اللازم لها ، حيث وسائل هذا الأداء ومن ثم كان تقسيم العمل وكان التفويض

ويجمع الباحثون فى خصائص الإدارة الحقة وعوامل نجاحها على أن التقاء القائد بأفراد الجماعة هو أقوم الطرق المؤدية إلى تعاونهم فى سبيل تحقيق الغاية المشتركة والتغلب على جميع المشكلات التى تعترض طريقهم ، وبهذا اللقاء وما يسفر عنه من تجاوب وتعاون وولاء يستطيع القائد أن يغير الواقع وأن يشكله فى الصورة التى ينشدها، فيحيل الأهداف والأمانى إلى حقائق حية .

وأساس بناء المجتمع هو تعاون أفراده جميعاً على اختلاف مستوياتهم ، وشعور كل منهم بحاجته إلى الآخر وإيمانهم بأن الواحد للكل والكل للواحد . ومن ذلك يتبين أن المجتمع الصالح هو الذى يتآلف فيه كل أعضائه ابتداء من الصف الأول حتى الصف الأخير ويتحدون فى نظام منسق ، ويعملون فى تعاون تام ، فلا تنافر ولا تضارب بينهم وإنما وحدة قوية متماسكة .

على أن مهمة توفير هذه الوحدة وذلك التناسق إنما تقع على عاتق رئيس الجماعة لأنه على قدر السلطة تكون المسئولية ، ولأنه بحكم ثقة الأفراد فيه وتفاعله معهم وقدرته على التأثير فيهم وما يملك من مواهب وخبرات وسلطة ، يستطيع رسم الطريق الصحيح الذى يسلكه المجتمع ، وتهيئة أفراده وتدريبهم على السير فى هذا الطريق ، وممارسة هذا العمل الجماعى المثمر .

وتثبت الدراسات المقارنة لتاريخ المجتمعات والحضارات الإنسانية أن المجتمع الإسلامى

فى عصوره الأولى كان مجتمعا مثاليا فى تماسكه وتعاونه ووحدته بفضل القيادة الرشيدة الواعية وقدرتها على التنظيم المحكم . ولقد كان النظام الإسلامى أفضل الأنظمة السياسية والاجتماعية التى حققت أهدافها فى جميع الميادين بما أتيح له من قادة مستنيرين أكفاء فى إدارة شئون الناس وسياستهم استطاعوا أن يلتقوا بالقاعدة ويرفعوها إلى أعلى المستويات كفاية وأمنا وعدلا وتقدما .

ولقد تمثلت فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم صفات القائد الإدارى ومناقبه وتوافرت فى خلفائه وسائر صحابته المؤهلات اللازمة للإدارة الحكيمة وبخاصة فى مجال التنظيم ، فقيض الله على أيديهم رفعة الإسلام وازدهار حضارته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنجبت الأمة الإسلامية فى عهودهم الزاهرة أفضل القادة على مدار التاريخ فى مختلف مناحى الحياة من دين وسياسة واجتماع واقتصاد ودبلوماسية وحرب وغير ذلك من الميادين . هؤلاء القادة الذين أثروا وجدان العالم أحقابا طوالا بآيات من العقيدة والفلسفة والآداب والعلوم والفنون ، وما زالت مبادئهم وتعاليمهم قادرة على هداية الناس إلى ما فيه صلاح الإنسانية ورقيها .

والتعاون بين القيادة والقاعدة فى سبيل تنفيذ المقصد المنشود فرع من أصل عام فى الإسلام هو مبدأ التعاون بين الناس جميعاً لتحقيق صالح البشرية ، يقول الله تعالى «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم» .

وإذا كان الناس أخوة فى الإنسانية بحكم نشأتهم الأولى من نفس واحدة فإن المؤمنين إخوة فى العقيدة والإنسانية معا :

«إنما المؤمنون أخوة» .

ومن ثم فإن التعاون بينهم توثيق لأسمى الروابط وأقدسها ، والله تعالى يخاطبهم بقوله «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» .

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» .

فالمؤمن الحق جندى فى كتيبة الله ، يلتحم بالروح مع شركائه فى الجهاد فى السلم وفى الحرب ، فهو ينكر ذاته ويضحى بجهوده بل بدمه فى سبيل المبدأ الذى اعتنقته الجماعة والهدف الذى التفت عليه ، وأول خطوات هذا الإيثار هو التعاون ، ومظهره المشاركة فى العمل وتقاسم الأعباء والتضامن فى السراء والضراء ، والمبادرة إلى النجدة حين البأس ،

وعدم التكالب على المغانم . فمن سمات الجماعة المؤمنة أنها تكثر عند المغرم وتقل عند المغنم ، كما قال رسول الله .

ولقد عبر الرسول الكريم عن تعاون المؤمنين فى أبدع صورة حين قال :

« مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وفى صورة رائعة أخرى عن هذا التعاون يقول رسول الله :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وصورة التعاون فى الهجرة تمثل أكمل الصور وأعظمها ، تلك الصورة التى تبهر العالم الإدارى حين يتصدى لتحليل أحداث الهجرة فى ضوء علم التنظيم الحديث . ولقد تحقق التعاون بفضل عدة عوامل مجتمعة تفاعلت فنجم عن تفاعلها النجاح أعظم النجاح وكان أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الفرد المناسب بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته ، فلقد اختار رسول الله لمرافقته فى رحلته الكبرى أبا بكر الصديق دون سائر أصحابه عليه السلام ، فكان اختيارا موفقا أجل توفيق : لأن أبا بكر كان أصلح الصحابة للقيام بهذه المهمة . وتاريخ أبى بكر قبل الاسلام وبعده يؤيد هذه الحقيقة ويرشحه لهذا الاختيار النبوى ، فلقد كان قبل أن يدخل الإسلام مثالا لحسن الخلق وحب الخير والعطف على المحتاجين . ومن أجل ذلك كله احترمه الناس وعظموه وجعلوه موضع ثقتهم وإجلالهم ومشورتهم ، وكان صاحبا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل رسالته وكان كل منهما يعز الآخر ويخلص له ، فلما نزل الوحى على سيدنا محمد كان أبو بكر أول رجل تحدث إليه النبى بما أوحى اليه ودعاه إلى عبادة الله وحده ، فلم يتردد أبو بكر لحظة واحدة وآمن بمحمد وصدقه فكان أول رجل دخل الإسلام ولم يشاركه فى هذا السبق غير على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

ولما أسلم أخذ يحبب الإسلام إلى أصدقائه ويدعوهم إلى الإيمان بدعوة محمد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام ، فاستجاب له رجال لهم مكانتهم العظيمة . وشهرتهم الواسعة فى تاريخ الإسلام ، وأسلم عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبد الله ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ... هؤلاء وغيرهم أسلموا اقتداء بأبى بكر ، ثم كانوا قدوة لغيرهم ، فتتابع الناس من بعدهم يدخلون

فى دين الله ويؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام. فكان ممن أسلم: أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب. ثم أسماء وعائشة بنتا أبى بكر، وكان إسلامهما دليلا على تحمس أسرة أبى بكر لدين محمد وهديه القويم.

فلا غرو أن يكون أبو بكر — وقد سماه النبى الصديق لأنه أول من صدقه من الرجال حين دعاه إلى الإسلام — أنسب أصحابه لصحبته فى مسيرته العظمى من مكة إلى المدينة، ذلك التناسب بين العمل والرجل الذى تشهد بصحته ودقته صفات أبى بكر، فلقد كانت هذه الصفات تتفق مع طبيعة العمل الذى يرشحه له الرسول وهو الإعداد للهجرة ومرافقته فيها. أجل، كانت ملامح شخصية الصديق تؤهله أكثر من غيره لهذا الدور الخالد فى تاريخ الإسلام، دور الشريك فى الجهاد والرفيق فى رحلة القضاء على اضطهاد المشركين، وكان أهم هذه الملامح أن أبا بكر كان أعظم الناس إخلاصا وحبا لرسول الله وجدارة بثقته وأهلا للشرف الذى أسبغه عليه، شرف صحابته، ولا شك أن التجاوب بين رجلين واتفاقهما فى المنازع والأهداف، وتفانيهما فى سبيل أداء الرسالة التى أؤتمنا عليها هى الضمان الأكيد لنجاح هذه الرسالة.

تلك هى مراحل اختيار الرسول لصاحبه فى الهجرة، وثمة عامل آخر يضاف إليها وهو شجاعة أبى بكر وقوة احتماله وغير ذلك من صفات الثبات والجلد وكتمان السر والتضحية بالنفس والنفيس التى تقتضيها مثل هذه المهمة الشاقة، ويتطلبها مثل هذا الموقف البطولى، والقدرة على إعداد متطلبات الرحلة، وليس بدعا أن تتكامل تلك المناقب والقدرات فى شخص الصديق رضى الله عنه.

فلم يكن من المستغرب إذن أن يختاره رسول الله لمشاركته تجربة الرحلة العظمى من مكة إلى يثرب، كما اختار موسى أخاه هارون ليشد الله به أزره ويشركه فى أمره. وكانت الحكمة من وراء هذا الاختيار هى ملاءمة الصديق لهذه التجربة من جانب ومكافأة له إذ ينال هذا الشرف وتلك النعمة وما يكتب لصاحبها عند الله من أجر — من جانب آخر. ؟ (يتبع)

عمر فتح الباب